تاريخ ووصف

مسجد المغفور له محمد علي باشا الكبير بالقلعة

بمناسبة إتمام إصلاحه

فى عصر

حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأول" ملك مصر

حفظه الله

وزارة المعارف العمومية

إدارة حفظ الآثار العربية

تاريخ ووصف

مسجد المغفور له محمد على باشا الكبير بالقلعة

بمناسبة إتمام إصلاحه

فى عصر

حضرة صاحب الجلالة "فاروق الأوّل" ملك مصر

حفظه الله

وضع

محمود أحمد

مدير حفظ الآثار العربية

مطبعة دار الكتب المصرية

١٩٣٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مسجد المغفور له محمد علي باشا

تمهيـــد :

شرع السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى بناء قلعة الجبل سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) ، وتم بناؤها فى عهد الملك الكامل ابن العادل سنة ٦١٤ هـ (١٢٠٧ — ١٢٠٨ م) ، فاتخذها مقراً للملك وسكنا له ومن تبعه من الأمراء والحاشية .

واستمرت بعد ذلك مقراً للحكم ومركزا للسلطنة بقية عهد دولة الأيوبيين وعهود المماليك البحرية والشراكسة والولاة العثمانيين ، فالعائلة المحمدية العلوية حتى عصر المغفور له الخديوى اسماعيل حيث اتخذ قصر عابدين العامر مقراً للملك .

وقد عنى المغفور له محمد على باشا بالقلعة فأصلح أسوارها وأنشأ بداخلها قصور الحريم والكشك (المعروف الآن بسراى الجوهرة) ودیوانی الجهادية والمدارس ودور الضرب والصناعة والطباعة ومصانع الأسلحة وصب المدافع ومعدّات الفرسان والمشاة ، كما أنشأ بجوارها دار المحفوظات .

وبعد أن أتم إصلاحاته بالقلعة وفرغ من إقامة هذه المنشئات رأى إنشاء مسجد له يؤدّى فيه وموظفو حكومته الفرائض الدينية ، وإلحاق مدفن به ليكون مقرّه الأخير .

موقــع الجــامع :

ويستخلص من وصــف القلعة فى القرن الثــامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) أن الجــامع أنشئ فى قسم من أرض القصر الأبلق الذى أنشأه الناصر محمــد بن قلاون ســنة ٧١٤ هـ (١٣١٤ م)، والذى لا يزال كثير من مخلفات أبنيته باقيا تحت جزء من صحن الجامع .

ويقول الجــبرتى مؤرّخ عصر محمد على فى حوادث ســنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) ان الجامع والكشك (سراى الجوهرة) بنيا على رقعة من الأرض كانت مشغولة بسراى القلعة وما اشتملت عليه من أماكن الدواوين ومقعد قايتباى المواجه للداخل إلى الحوش ، وديوان الغورى وما ضمه من مجالس للأفندية والقلفاوات .

تاريخ إنشــاء الجامع :

وقد وضع أساسه على الصخر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ، واختيرت الحجــارة الضخمة لبنائه وكانت تربط « بكانات » من الحديد يسبك حول أطرافها بالرصاص .

تصميم الجــامع :

وكانت تصميمات المساجد المنشأة فى مصر على نوعين :

(الأول) المسجد الجامع وهو ما اشتمل على أربعة إيوانات، بها أروقة ذات عقود محمولة على عمد يتوسطها صحن مكشوف .

(والثــانى) تصميم المدرســة وهو المشتمل على أربعة إيوانات ذات فتحات معقودة، ويتوسطها صحن مكشوف غالبا .

وفى عهد الدولة العثمانية ظهر بمصر نوع جديد من تصميم المساجد أدخله المهندسون الأتراك الذين رافقوا ولاة مصر من قبل سلاطين آل عثمان وهو طرز تركى بحت أنشئ على نسقه هذا الجامع وكان أول نموذج له بمصر مسجد سليمان باشا (سارية الجبل) بالقلعة المنشأ سنة ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م)، فمسجد سنان باشا ببولاق سنة ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م)، فمسجد الملكة صفية سنة ١٠١٩ هـ (١٦١٠ م)، فمسجد محمد بك أبى الذهب سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م)، فجامع محمد على سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) .

حالة المسجد عند وفاة المغفور له محمد على باشا :

وقد استمر العمل سائرا فى بنائه بلا انقطاع حتى كملت الأسوار والقباب والمنارتان والكتابات التى تعلو النوافذ (الشبابيك) من الداخل والخارج والقسم الأسفل من أعمال الرخام بالوجهات إلى الباب القبلى حتى كانت سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٨ م) حيث توفى المغفور له محمد على باشا فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه نقرا فى الصخر .

مهندس الجامع :

وكان مهندس الجامع من القسطنطينية واسمه يوسف بوشنا اقتبس تصميمه من مسجد السلطان أحمد .

الصناع :

وقد كان المفهوم أن الصناع الذين عهد إليهم فى بناء هذا الجامع وزخرفته من المصريين ولكن طرز البناء ونوع الزخرف يجعلنا نميل الى القول بأنهم كانوا من الأتراك والأرمن الذين استحضروا من الآستانة للاستعانة بهم

فى منشئات المغفور له محمد على باشا لعدم تدرب صناع البلاد على هذا النوع من البناء والزخرف ، ومما يقوى هـذا الرأى قدوم نحو الخمسمائة صانع من البنائين والنجارين والخراطين إلى مصر فى أواخر سنة ١٢٢٧ ﻫ (١٨١٢ م) مع عدد كبير من العساكر الأتراك ، على أن هذا لا يمنع من حصول الاستعانة بالعمال المصريين خصوصا فى أعمال الحجر والرخام وهما مادتان أساسيتان فى بناء المسجد من خامات البلاد الأصلية .

أعمال عباس باشا الأول :

ولما تولى ولاية مصر المرحوم عباس باشا الأول سنة ١٢٦٥ ﻫ (١٨٤٨ م) أمر بإتمام بقية الأعمال بالمسجد وهى :

(١) فرش الأرضيات بالرخام .

(٢) نقش الأكتاف بعد بياضها ودهانها بالبوية الملونة بلون الرخام .

(٣) أعمال النقش والتذهيب بجميع المسجد والكتابات بالقبة .

ثم أمر بفرشه جميعه بالحصر والأبسطة ، وعملت السلاسل النحاسية لتعليق أدوات الاضاءة بها وعدتها ٤١٨ مصباحا زجاجيا ، ووضع بالقبة الكبيرة نجفة من البلور النفيس بها ٧٢ فنيارا ونجفة أمام المحراب بها ٥٣ فنيارا وأخرى أمام باب المسجد من جهة الصحن بها ٥٩ فنيارا ، ورابعة أمام الباب البحرى بها ٢٤ فنيارا .

التركيبة والمقصورة :

وكذلك أمر بأن يستحضر من الآستانة تركيبة من الرخام الأبيض عليها آيات قرآنيـة محلاة بالذهب ، وستر من القطيفة المشغولة بالقصب المذهب لوضعهما على المقبرة ، كما أمر بعمل مقصورة من النحاس الأصفر ووضع

سبع شمعدانات كبيرة وشمعدانين صغيرين بها وكلها من الفضة ، كما وضع بها عدّة من المصاحف محلاة بالذهب ومجموعة من دلائل الخيرات ، وعلق أمام بابها نجفة من البلور النفيس بها ٢٤ فنيارا .

وعيّن للجامع موظفين وحرر لذلك وقفية خصص فيها المرتبات وما يصرف على تعمير المسجد وفرشه و إضاءته وتبخيره وما يوزع من صدقات فى المواسم . ومما تضمنته هذه الوقفية أن يكون للسجد إمامان حنفى وشافعى، وخطيب ومدرّس للحديث، ورصد خيرات وصدقات توزع على المشاهد والمزارات الشهيرة بمصر .

أعمال المرحوم محمد سعيد باشا :

ولما تولى المرحوم محمد سعيد باشا ولاية مصر سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) أمر بطلاء المقصورة ثم أوقف على المسجد أطيانا زراعية بالوجهين القبلى والبحرى خصص ريعها لأعمال البر وتعمير المسجد .

إحياء المواسم بالمسجد :

وكان يحتفل بالجامع بخمسة مواسم هى : ليالى المعراج ونصف شعبان والقدر، وليلتا ١٣ و ١٤ من رمضان (الأولى : ذكرى وفاة المرحوم محمد على باشا بالإسكندرية، والثانية : إيداعه مقرّه الأخير بمصر) وما زالت هذه الحفلات تقام بالمسجد حتى الآن .

أعمال المغفور له اسماعيل باشا :

ولما تولى الخديوى اسماعيل باشا فى رجب سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٢٢ م) قدم مصر فى تلك السنة السلطان عبد العزيز فهيئت لإقامته سراى المرحوم

محمد على باشا بالقلعة ، حيث أقام بها سبعة أيام ، ولما نودى للصلاة من يوم الجمعة خرج وحوله الخديوى وكبار الموظفين سيرًا على الأقدام للصلاة بالمسجد حيث أدّاها السلطان بالكشك الذى أعدّ له بجوار المحراب .

وفى سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) أمر بعمل ستر للتركيبة الرخامية وتجديد أبواب المسجد فصنعت من خشب الجوز بسماعات من النحاس .

كذلك أمر ببناء دورة المياه المجاورة للمسجد وأحاط رحبته بسور من الحجر يعلوه (درابزين) حول الجامع كله ، وأهدى له مصحفين شريفين محليين بماء الذهب .

أعمال المغفور له محمد توفيق باشا :

ولما ولى خديوى مصر توفيق باشا عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) أمر بإصلاح رخام الصحن وإعادة كسوة القباب الرصاصية ، كما أمر بأن يعمل للمنبر بيارق وستارة من القطيفة المنسوجة بالقصب ، وأهدى إليه مصحفا ودلائل خيرات مذهبة .

وصـــف المســـجد

يعدّ هذا المسجد العظيم بحكم موقعـه من أظهر مميزات مدينة القاهرة إذ يستطيع كل قادم أن يراه فى أوّل ما يرى منها عند دخوله إليها من أية جهة من جهاتها وهو بقبابه ومآذنه مظهر من مظاهر أخلاق وروح مؤسس مصر الحديثة فهو يجمع بين القوة والعظمة المقرونتين بجمال الذوق وحسن الاختيار.

وهو مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ مترا، تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ مترا، وارتفاعها ٥٢ مترا من مستوى أرضـية المسجد محمولة على أربعة عقود كبيرة متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعـة يحوطها أربعة أنصاف قباب فى كل جهة نصف قبة — خلاف أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد، ونصف قبة تغطى بروز القبلة من الجنب الشرقى ويحازى الجنب الغربى صف من الأعمدة المتكئة عليها عقود حاملة لسقف دكة المبلغ.

وكسيت جدران المسجد من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية والأعمدة (بارتفاع ١١ مترا) بالرخام "الألبستر" الوارد من محاجر بنى سويف.

ويعلو الكسوة من الداخل بياض حلى بنقوش مختلفـة ذات ألوان متجانسـة يتخللها التذهيب فى أماكن متفرقة، أما القباب وأنصاف القباب فقد حليت بزخارف بارزة منقوشة ومذهبة.

وعلى يمين مدخل القبلة منبر جميـل من الخشب المشتمل على زخارف بارزة محلاة بالذهب الخالص ومكتوب على بابه "أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة" وعلى باب الروضة الأيمن "يا قاضى الحاجات" والأيسر "يا مجيب

الدعوات". وفى الزاوية الغربية القبلية ضريح المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا الكبير تعلوه تركيبة من الرخام الأبيض تحيط بها مقصورة جميلة من النحاس المحلى بالزخارف البارزة المذهبة .

وللمسجد ثلاثة أبواب يتوسط أولها الجنب البحرى، كما يتوسط ثانيها الجنب القبلى، أما الباب الثالث فيتوسط الجنب الغربى و ينفذ إلى الصحن وهو فناء كبير مساحته ٥٣ × ٥٤ مترا ، يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة كلها من الرخام "الألبستر" ومسقوفة بقباب صغيرة منقوشة من الداخل ومغطاة من أعلاها بألواح من الرصاص كما هو الحال فى قباب المسجد الكبيرة .

و بوسط هذا الصحن قبة محلاة من الداخل بنقوش مختلفة الألوان قائمة على ثمانية عقود متكئة على أعمدة رخامية يعلوها رفرف من الخشب المحلى بالزخارف البارزة المموهة بالذهب الخالص، وتحت هذه القبة قبة أخرى صغيرة قائمة على قاعدة ثمانية الأضلاع بها صنابير (حنفيات) للوضوء و جميع ذلك من "الألبستر" المحلى بالزخارف .

وعلى طرفى الجنب الغربى للمسجد تقوم مئذنتان رشيقتان بارتفاع ٨٤ مترا من مستوى أرضية الصحن و ٦٠ مترا من مستوى مسطح المسجد، ولكل منهما دورتان .

وفى الرواق الغربى للصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الملون بداخله الساعة الدقاقة التى أهديت إلى المغفور له محمد على باشا من ملك فرنسا لويس فيليب سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥ م) .

النصـــوص والـكتابات :

حلّيت أجزاء كثيرة من المســجد بآيات من القــرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة والنصوص التاريخيّة : كُتب بعضها بالخطّ الثلث ، والبعض الآخر بالخط الفارسيّ .

فعلى الباب البحرى للمسجد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ .

وعلى البــاب البحرى للصحن قوله تعــالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ .

وعلى البــاب القبلى للمسجد قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ .

وعلى البــاب القبلى للصحن قوله تعــالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

وفى طراز أعلى الشبابيك حول وجهات الجامع قصيدة بالخط الفارسى تبتدئ على يسار الباب البحرى للصحن ومطلعها :

عروس كنوز قد تحلت بعسجد * مكللة تيجانهـا بالزبرجد

وآخرها على يمين الباب البحرى للصحن وتنتهى بالبيت الآتى :

وهاك عقودا من معــان أجادها * بيان بنا هذا البديع المجدّد

وفى خصرى عقد نصف القبة التى تعلو المحراب دائرتان كتب فى أولها : لا إله إلّا الله ، وفى الثانية : محمد رسول الله .

وبخواصر القبـة الكبرى أربع دوائر مكتوب بداخلها أسماء الخلفـاء الراشدين .

وكتب حول فسقية الميضأة بوسط الصحن :

قال الله تبارك وتعـالى فى كتابه الكريم وفرقانه العظيم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُـوا إِذَا قُمْـتُمْ إِلَى الصَّـلَاةِ فَٱغْسِـلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى المَـرَافِقِ وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم : « الوضوء سلاح المؤمن » .

الخلل الذى حدث بالمسجد وأسبابه

ظهرت بوادر الخلل بالمسجد فى أواخر القرن الماضى، وفى سنة ١٨٩٩ عولج بتقوية الأكتاف الأربعة الداخلية بكسوة من الحجر حول كل كتف وأحيطت عند مبدأ العقود بأحزمة من الحديد الزهر كما تناول الترميم وأعمال التقوية أجزاء أخرى من المسجد، غير أنه منذ ذلك الحين ابتدأت تظهر مقدمات خلل أخرى من شروخ وانفصالات فى أجزاء متفرقة من بناء المسجد، وكانت من الخطورة بحيث أدت إلى القيام بمشروع الترميم الضخم الذى تم تنفيذه بالمسجد .

ويمكن تلخيص الأسباب التى أدت إلى هذا الخلل فى ضعف الأجزاء التى تقوم بأخذ وتوزيع الأحمال فى المبنى، ومنها العقود والأكتاف الحاملة لها، وكان العامل الأول فى حصول الخلل هو عدم كفاية تثبيت أطراف الشدادات الحديدية الرابطة لأرجل العقود الأربعة الحاملة للقبة الكبيرة وعدم وجود شدادات للعقود الصغيرة مما ترتب عليه تفتت أحجار أرجل العقود تحت حمل القبة الكبيرة ودفع العقود للجدران الخارجية للمسجد فأمالها ، هذا عدا شروخ أخرى محلية كانت نتيجة تأكسد "الكانات" الحديدية الرابطة لقطع الأحجار المبنى بها المسجد .

مشـــروع الإصــــلاح

القسم الأوّل — إزاء هــذه الحالة الخطـيرة رؤى سرعة البت فى طريقة إصلاح هذا المسجد العظيم وإزالة ما اعتراه من تصدّع فاستقر الرأى على إعداد مشروع كامل شمل هدم القباب وأنصاف القبـاب والعقود والأكتاف الأربعة الداخلية إلى الأساس . ورؤى قبل الشروع فى الهدم عمل صلبات حديدية لحمل وشدّ هذه الأجزاء قبل هدمها .

ولمـا كان من المقرر بقـاء المئذنتين وحوائط المسجد الخارجية فقـد عملت "ساندات" من الخرسانة المسلحة للمحافظة على المئذنتين أثنـاء الهدم وحقنت الحوائط بالسمنت توصلا لملء مابها من انفصالات وشروخ وكان أساس هذا المشروع استعمال الخرسانة المسلحة فى إعادة بناء الأجزاء الأصلية مع ضمان المتانة والقوة .

واستعمل فى الصلبات الآنفة الذكر حوالى ٦٧٠ طنا من الحديد الصلب ، وبلغ مكعب الخرسانة المسلحة التى استنفدت فى هذه العملية حوالى ٤٠٠٠ متر مكعب ، كما استخدم فى التنفيذ آلات الرفع الكهربائية ومصعد كهربائى ركب فى وسط المسجد لرفع المهمات ومواد البناء لمحال العمـل فى المناسيب المختلفـــة .

وبعد الانتهاء من بناء القباب وتغطيتها بألواح الرصاص أزيلت الصلبات الحديدية بعد أن أدّت الغرض الذى أقيمت من أجله ، كما هدمت الدعامات المسلحة التى كانت تسند المئذنتين أثناء العمل .

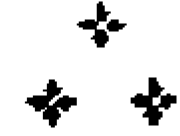
وقـد استغرق تنفيذ هـذا المشروع خمسة وعشرين شهرا من مارس سنة ١٩٣٤ إلى أبريل سنة ١٩٣٦ ، وبلغت تكاليفه ٦٠٠٠٠ جنيه مصرى .

القسم الثانى — إعادة الزخارف والنقوش وأعمال الرخام :

ولما كانت الرغبة متجهة إلى إعادة زخارف المسجد ونقوشه إلى ما كانت عليه قبل الهدم فقد روعى أخذ قطع من الزخارف القديمة المنقوشة والمذهبة من جهات متفرّقة من المسجد والاحتفاظ بها فى قسم من البناء الملحق بسراى الجوهرة ، وعمل نماذج أخرى من الجبس لأنواع الزخارف المختلفة سجلت عليها النقوش بالألوان الأصلية ، كما عملت رسومات تفصيلية ، وأخذت صور فتوغرافية توضح بجلاء تفاصيل الزخارف والنقوش فى جميع أجزاء المسجد .

وعلى ضوء هذه النماذج وتلك الرسومات والصور أعدّ القسم الثانى والأخير من مشروع الإصلاح والتعمير وقد شمل : بياض ونقش وتذهيب القباب وأنصاف القباب وسقف دكة المبلغ وإعادة "الدرابزينات" النحاسية حول ممرات القباب وتركيب "الشبابيك" النحاسية بنوافذها ، وكسوة الأكتاف الأربعة "بالألبستر" المورّد من محاجر بنى سويف ، وإعادة تركيب المنبر وتذهيبه ، وتذهيب المقصورة ، وفرش أرضية المسجد والصحن بالرخام الأبيض ، وتنظيف الوجهات ، ثم أعمال التركيبات الكهربائية التى روعى فيها الاحتفاظ بنظامها القديم مع وضع كشافات كهربائية فى الممرات العلوية للقباب لتعكس أنوارها على الزخارف والنقوش والتذهيب فتظهر بهاءها وجمالها ، هذا من حيث الإضاءة الداخلية أما الإضاءة الخارجية فقد اتبعت فيها الطرق الحديثة لإضاءة مبنى المسجد بأكمله .

وقد استغرقت هذه العملية اثنين وعشرين شهرا من أبريل سنة ١٩٣٧ إلى يناير سنة ١٩٣٩ ، وبلغت تكاليفها ٤٠٠٠٠ جنيه مصرى ، فيكون مجموع ما تكلفه إصلاح المسجد إصلاحا شاملا مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه مصرى .

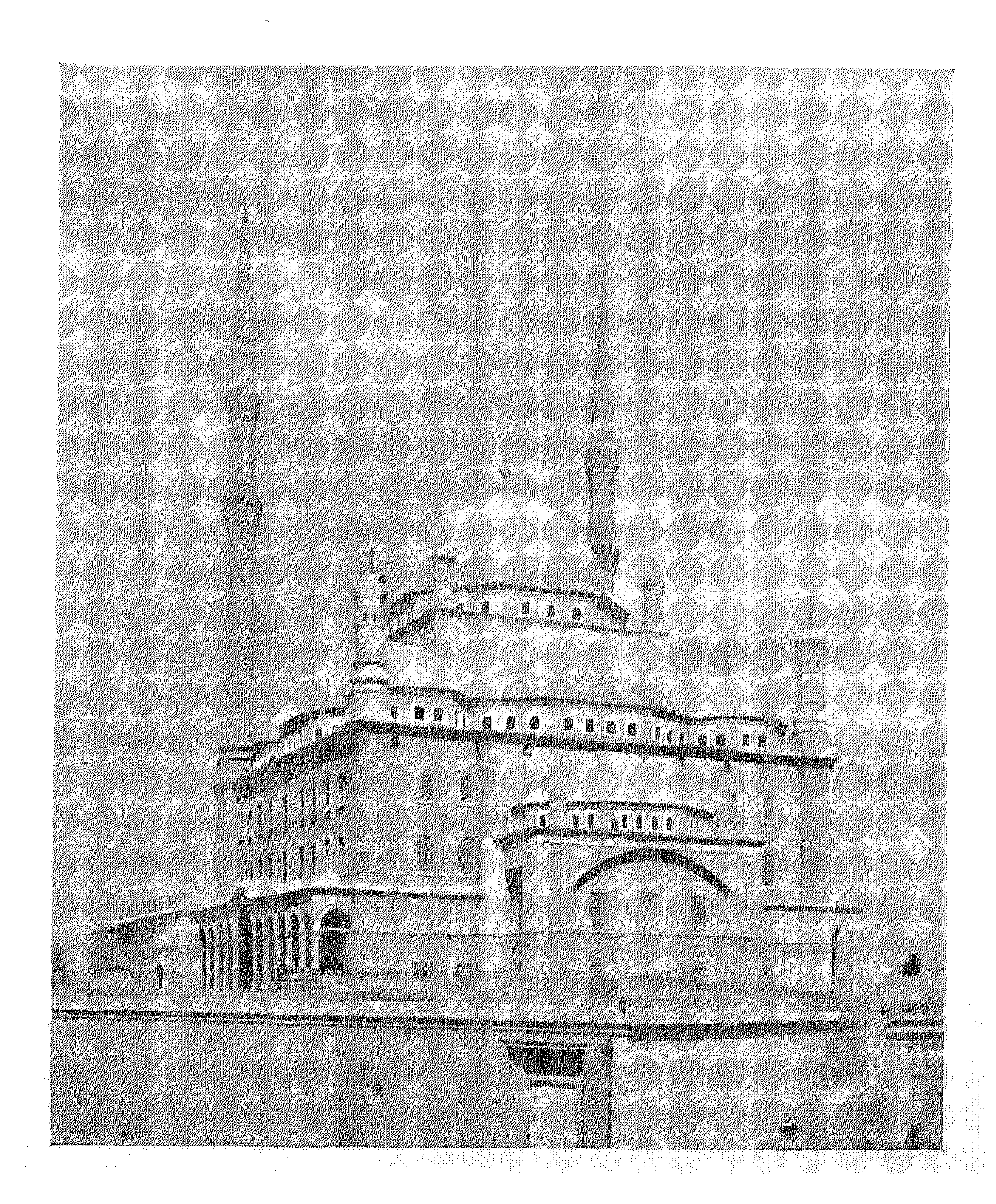


ومما يدعو إلى الغبطة والفخار أن كان تنفيذ هـذا العمل العظيم الذى تجلت فيه روعة الفن ودقة الصنع على أيدى الفنيين المصريين .

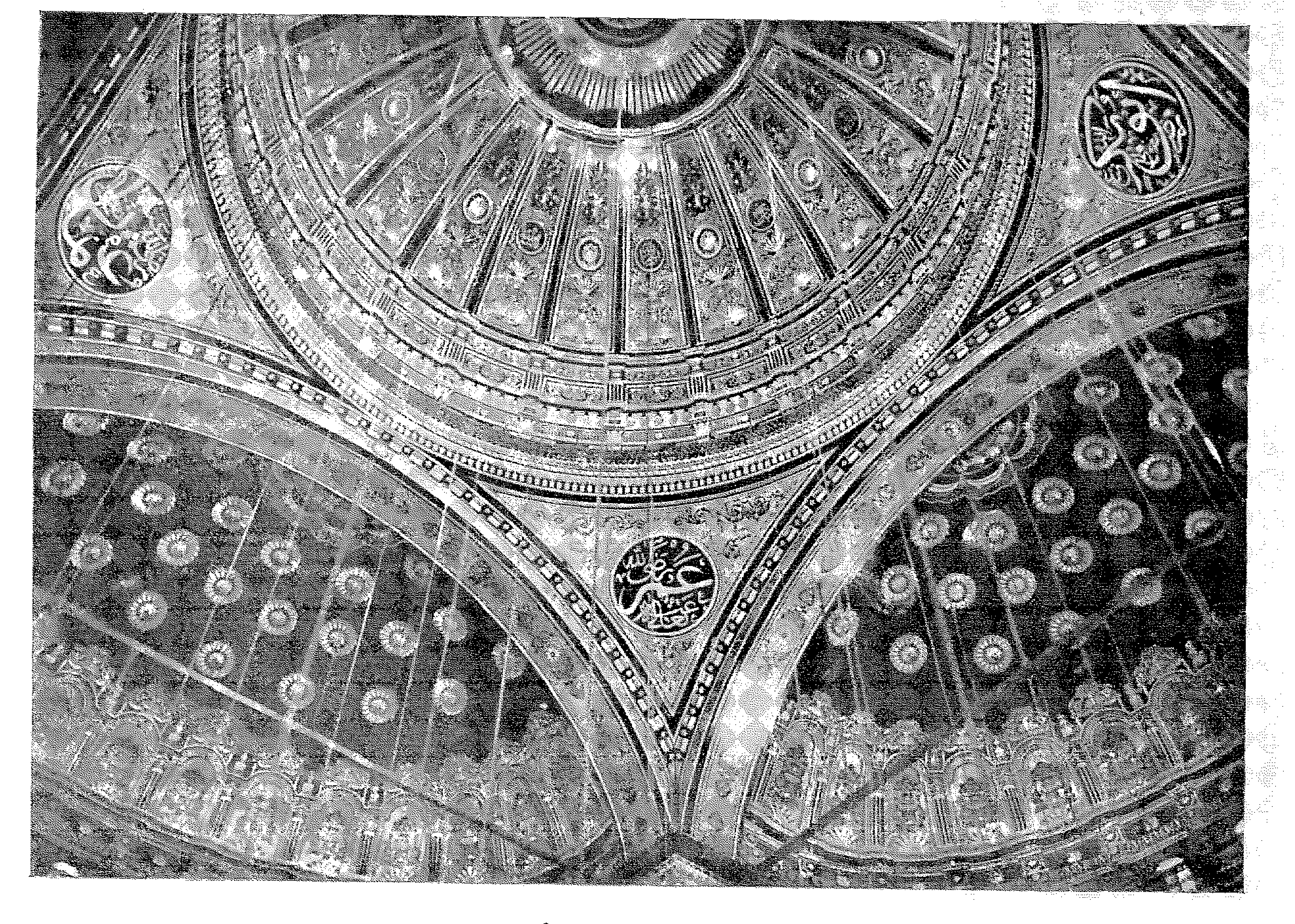
وكان البدء فيه على عهد المغفور له الملك "فؤاد الأوّل" رحمه الله ، وإتمامه فى عهد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح حامى حمى الدين "فاروق الأوّل" حفظه الله حيث تفضل بافتتاحه للصلاة فى يوم الجمعة الموافق ٥ محرم سنة ١٣٥٨ هجرية م١٦

محمـود أحمـد

مدير حفظ الآثار العربية

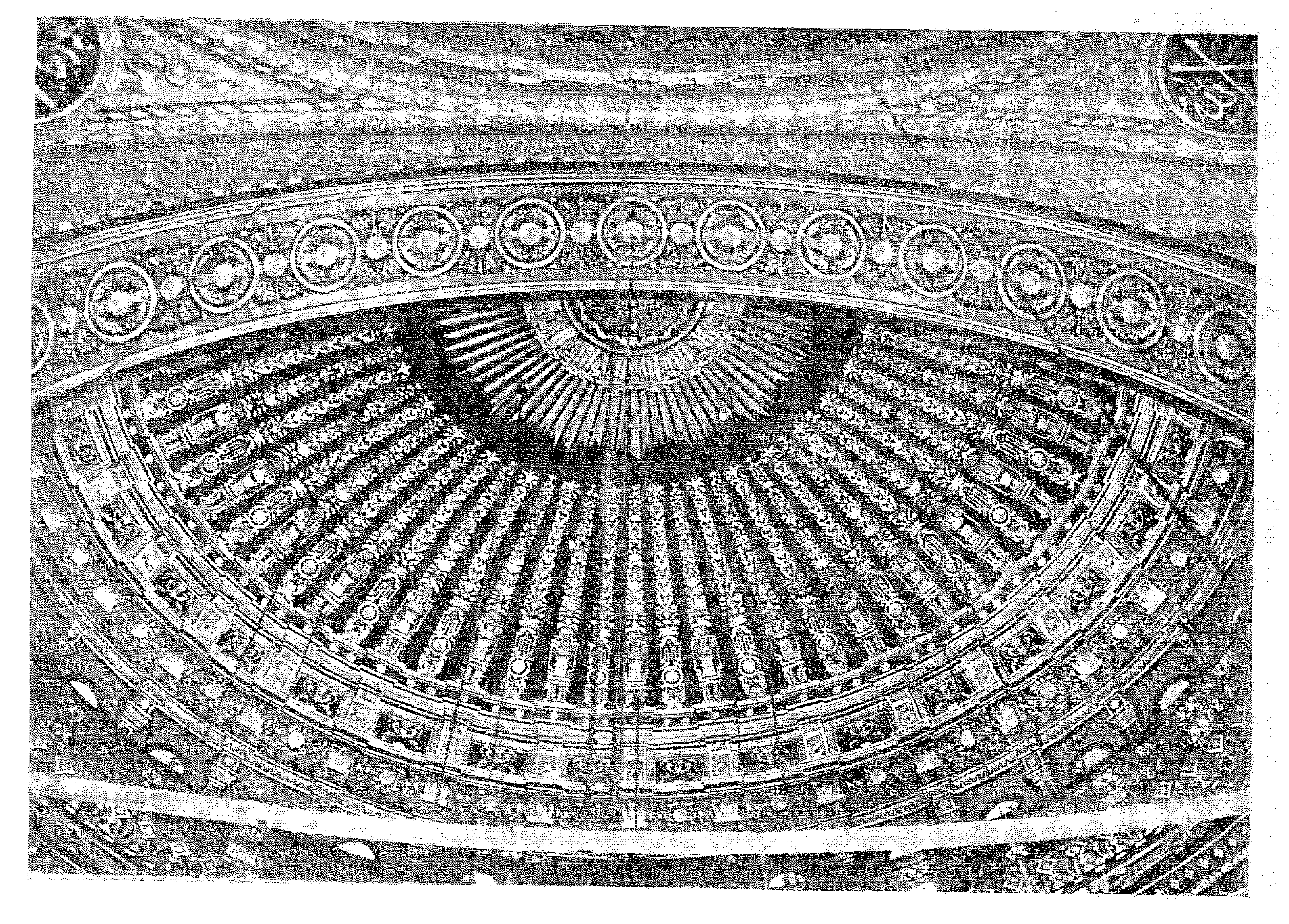


Vue extérieure de la mosquée. — منظر خارجي للجامع

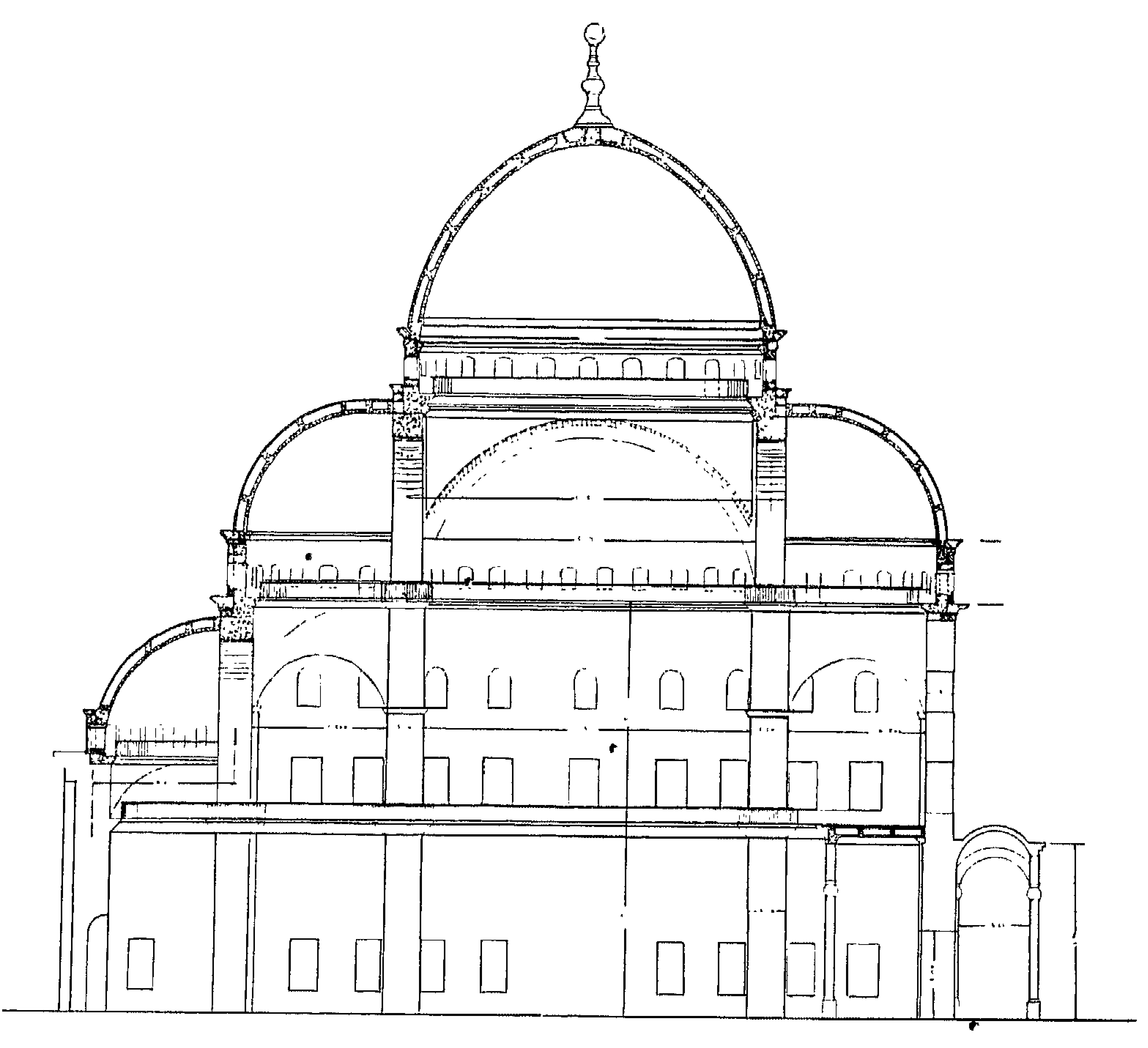


تفاصيل من زخارف القبة الكبيرة وأنصاف القباب

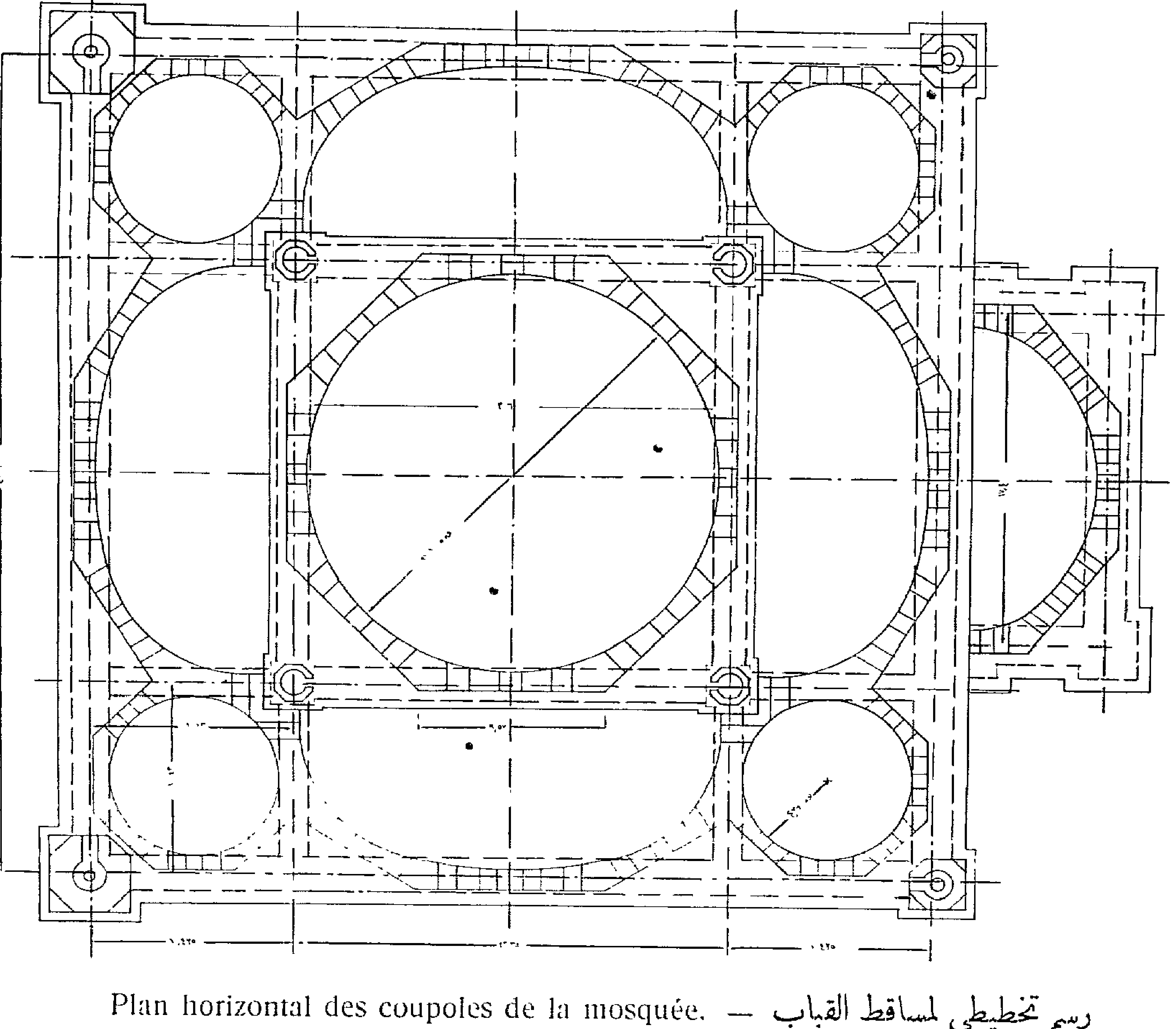
Vue détaillée d'une partie de la grande coupole et des demi-coupoles.



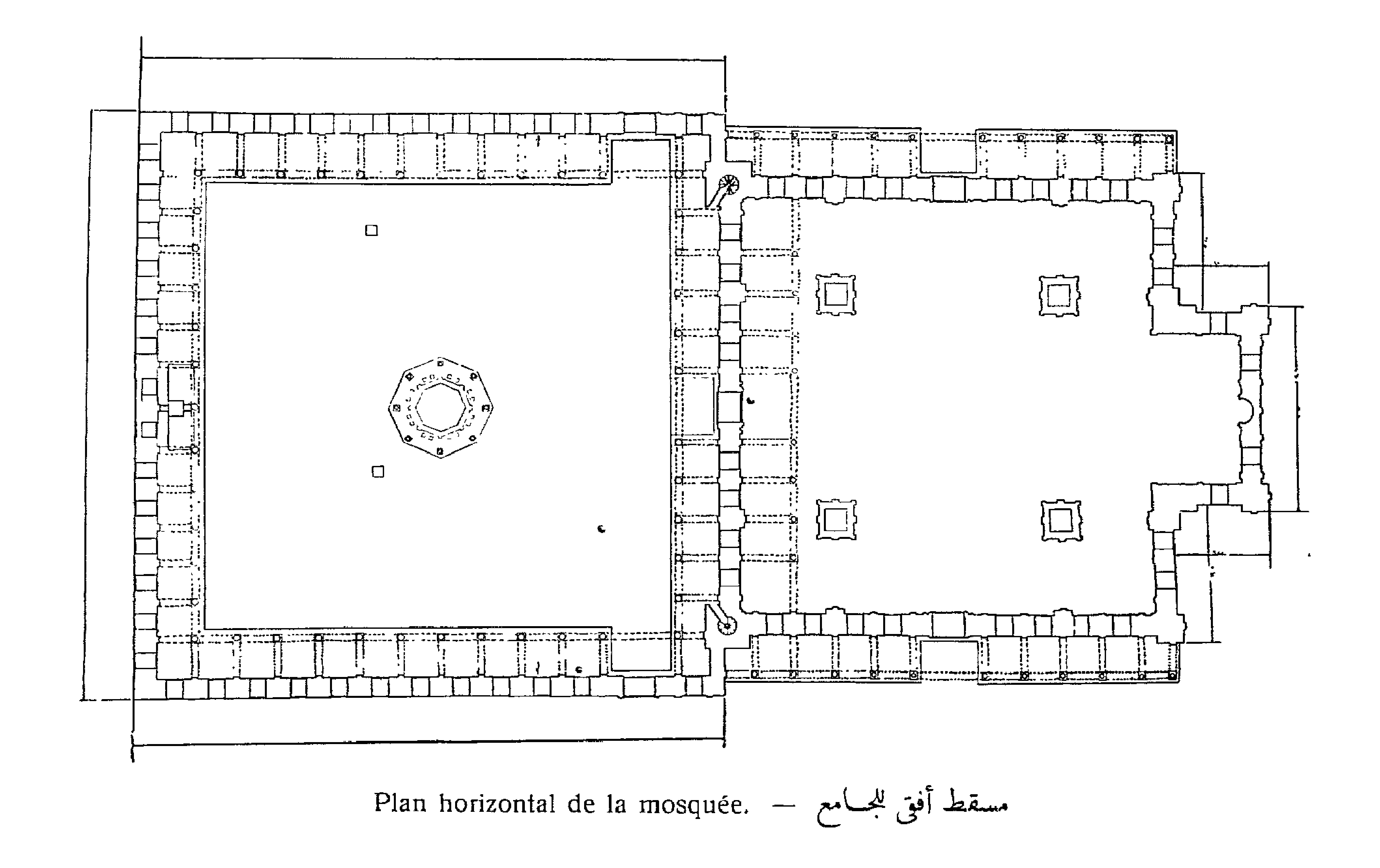
Vue détaillée de la demi-coupole surmontant le mihrâb. — زخارف نصف القبة أعلى المحراب



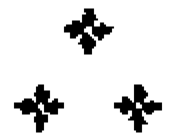
Coupe verticale de la mosquée. — قطاع رأسى للجـامع



Plan horizontal des coupoles de la mosquée. — رسم تخطيطي لمساقط القباب



Plan horizontal de la mosquée. — مسقط أفقي للجامع



Nous sommes heureux de relever ici, que cette grande entreprise, dans laquelle des efforts artistiques considérables ont été déployés, a été exécutée avec le concours de techniciens égyptiens.

Les travaux furent commençés sous le règne du très regretté Fouad I et achevés sous le règne heureux de Sa Majesté Faruk I, Protecteur de l'Islam, qui inaugura de Son Auguste présence la prière du Vendredi [illegible]-Muharram 1358 H.

Mahmud Ahmad
Directeur de la Conservation des Monuments Arabes.

2^me Partie.- (Rétablissement des décorations et des revêtements de marbre.)

Les décorations et ornements de la mosquée, devant être rétablis dans leur état originel, on jugea nécessaire avant la démolition, de recueillir des specimens de chaque variété des anciennes décorations de l'édifice et de les conserver dans une dépendance du Palais adj-Djawhara (Palais du Bijou). Des moulages en stuc furent aussi exécutés de différents ornements portant les couleurs originelles. Enfin des dessins détaillés et des reproductions photographiques complétèrent ce travail préparatoire.

A l'aide de ces documents fut entreprise la seconde et dernière partie du projet de restauration, à savoir la pose des enduits et les travaux de peinture et dorure dans les demi-coupoles et le plafond de la dikka; le rétablissement des balustrades en bronze qui contournent l'intérieur des coupoles, et des grilles de fenêtre en bronze avec leur châssis; le revêtement des quatre piliers avec de l'albâtre de Beni Souef, le remontage du minbar et la réfection de ses dorures ainsi que celles du mausolée; la pose d'un dallage en marbre blanc dans la mosquée et le sahn; le nettoyage des façades; le rétablissement des anciens appareils d'éclairage, auxquels on a ajouté des réflecteurs électriques dans les galeries supérieures des coupoles, pour mettre en valeur les décorations en couleurs et or. Quant à l'extérieur, les procédés les plus récents ont été employés pour l'éclairage de toute la bâtisse.

Ces travaux, qui ont duré 22 mois, depuis Avril 1937 jusqu'en Janvier 1939, ont nécessité une dépense de L.E. 40.000. La restauration complète de la mosquée a donc coûté L.E. 100.000.

Projet de Restauration.

1re Partie. - Devant cette situation menaçante, il fut jugé nécessaire de prendre des mesures urgentes pour remédier aux défectuosités de cette grande mosquée. On décida alors d'établir un projet complet tendant à la démolition des coupoles et demi-coupoles, des arcs et des quatre piliers à l'intérieur jusqu'aux fondations. On envisagea au préalable, avant d'entreprendre la démolition des ouvrages en question, de les soutenir par un système d'étayage en fer.

Les deux minarets et les murs extérieurs de la mosquée devant subsister, on immobilisa les minarets avec un appareil en béton armé, afin de les protéger pendant la démolition, et on boucha les fissures et décollements avec des injections de ciment. Ce projet se basait essentiellement sur l'emploi du béton armé pour la reconstruction des parties défectueuses, vu qu'il offrait toutes les garanties de solidité.

On employa dans les étaiements précités 670 tonnes environ d'acier et près de 4.000 m³ de béton armé. On fit également usage de monte-charges et d'ascenseurs éléctriques, pour le transport des matériaux de construction à la hauteur voulue.

Après la reconstruction des coupoles et la pose de l'enveloppe de plomb à l'extérieur de celles-ci, on démonta les étaiements en fer et l'appareil en béton qui soutenait les deux minarets pendant l'exécution des travaux.

Ce projet exigea 25 mois, de Mars 1934 à Avril 1936 et les frais s'élévèrent à L.E. 60.000.

DÉFECTUOSITÉS ET RESTAURATION DE LA MOSQUÉE

Nature et causes des défectuosités qui se sont déclarées dans la mosquée.

C'est vers la fin du siècle dernier que des signes inquiétants se déclarèrent dans la mosquée. En 1899, on consolida les quatre piliers à l'intérieur en les enveloppant d'une chemise en maçonnerie de pierre, et en établissant des ceintures en fonte autour de la retombée des arcs; on consolida également diverses autres parties de la mosquée. Toutefois, de nouvelles défectuosités, telles que des lézardes, et des décollements, apparurent dans la suite et atteignirent un tel degré de gravité, qu'on dut entreprendre le projet de restauration qui vient d'être achevé.

On pourrait, d'une façon générale, attribuer les causes des défectuosités précitées à la faiblesse des ouvrages qui recevaient et répartissaient les charges, tels que les arcs et les piliers. Mais parmi les facteurs principaux qui ont déterminé cet état de choses, il faut mentionner 1° l'insuffisance de l'ancrage des extrémités des tirants en fer qui reliaient la naissance des quatre arcs supportant la grande coupole, et 2° l'absence des tirants pour relier les petits arcs. Il en résulta l'écrasement des tailloirs qui recevaient la retombée des arcs sous la pression de la grande coupole, et l'inclinaison des murailles extérieures de la mosquée sous la poussée des arcades. En outre, des fissures s'étaient déclarées par suite de l'oxydation des crampons qui reliaient les blocs de pierres de la bâtisse.

Les deux tympans de l'arc de la demi-coupole, devant le mihrâb, renferment chacun un cercle où on lit dans l'un "Dieu est le seul Dieu" et dans l'autre "Muhammad est l'envoyé de Dieu".

Quatre cercles portant les noms des Califes Rashidites rehaussent les tympans formés par les quatre grands arcs sous la coupole centrale.

Autour de la fontaine des ablutions, au centre du sahn, court l'inscription suivante : "O croyants. Quand vous vous disposez à faire la prière, lavez-vous le visage et les mains jusqu'au coude, et essuyez-vous la tête et les pieds jusqu'aux talons".

Aux deux extrémités du côté ouest de la mosquée, deux élégants minarets s'élèvent à 84 mètres au-dessus du niveau du sahn, et à 60 mètres au-dessus du toit de la mosquée; ils sont pourvus de deux galeries.

Dans le portique ouest du sahn se dresse une tourelle en cuivre travaillé, rehaussée de verres polychromes, et qui renferme l'horloge offerte à Muhammad 'Ali par le roi de France Louis-Philippe en 1262 H. (1845 J. C.).

Inscriptions.

La mosquée est rehaussée en différents endroits d'inscriptions religieuses ou historiques établies, soit en caractères thuluth, soit en caractères persans.

Au-dessus de la porte Nord on lit: "Quant à ceux qui craignent Dieu, ils seront au milieu de jardins et de sources d'eau. On leur dira: Entrez en paix et à l'abri de toute crainte."

Sur la porte Nord de la cour (sahn) : "La prière est pour les croyants une obligation attachée à certaines heures fixes."

Au-dessus de la porte Sud de la mosquée: "Les temples sont consacrés à Dieu; n'invoquez qui que ce soit à côté de Dieu.

Au-dessus de la porte Sud de la cour: "La paix soit avec vous. Dieu s'est imposé la miséricorde comme un devoir."

Sur la frise qui surmonte les fenêtres de la façade, court une inscription en vers, en caractères persans, qui renferme des louanges à l'adresse du fondateur et de sa mosquée.

décors en couleurs et or. Quant à la coupole centrale et aux demi-coupoles, elles sont revêtues de décors saillants polychromes et dorées.

Sur le côté droit de la niche de prière, un beau minbar en bois est rehaussé d'ornements saillants dorés et porte, au-dessus de sa porte, l'inscription suivante: "Le jour préféré de de Dieu est le Vendredi". Au-dessus de la porte latérale droite du minbar on lit: "O Toi qui satisfais nos désirs" et sur la porte latérale gauche "O Toi qui exauces nos prières".

A l'angle sud-ouest, s'élève le tombeau du Grand Muhammad 'Alî, surmonté d'un sarcophage en marbre blanc et qu'entoure une belle grille en cuivre rehaussée de motifs saillants dorés.

La mosquée est desservie par 3 portes ouvertes au milieu des côtés ouest, sud et nord. Celle du nord donne sur un vaste sahn (cour) qui mesure 53 x 54 m., entouré sur les 4 côtés de portiques à colonnes d'albâtre. Ces portiques sont recouverts de coupolettes décorées à l'intérieur et revêtues à l'extérieur d'une couche de plomb à l'instar des autres coupoles de la mosquée.

Au milieu du sahn s'élève un édicule qui abrite les fontaines des ablutions. Il se compose d'une coupole décorée à l'intérieur et s'appuie sur huit arcs supportés par des colonnes de marbre; autour de la coupole, un auvent en bois est rehaussé de décorations saillantes dorées. A l'intérieur, une seconde coupole plus réduite, s'élève sur une base octogonale qui renferme les robinets. Tout cet appareil est en albâtre.

renouvela la couverture en plomb des coupoles, fit suspendre des drapeaux et une tenture en velours brodé d'or dans le minbar, et dota la mosquée d'un exemplaire enluminé du Coran et des Invocations (Dalâ'il al-Khayrât).

Description de la mosquée.

Cette mosquée, par sa situation privilégiée qui la rend visible de tous les points de la ville, est un des monuments les plus caractéristiques du Caire. Avec ses coupoles massives et ses deux minarets élancés, elle traduit la nature de son fondateur qui a su allier dans ce monument la puissance et la majesté à l'harmonie et au bon goût.

Cet édifice est de forme carrée, mesurant 41 m. de côté à l'intérieur; il est surmonté au centre d'une haute coupole de 21 m. de diamètre qui s'élève à 52 m. au-dessus du sol de la mosquée; elle est portée sur 4 grands arcs appuyés sur quatre énormes piliers, et entourée de 4 demi-coupoles; quatre petites coupoles surmontent les angles de la mosquée, et une demi-coupole s'élève au-dessus de la niche de prière sur le côté Est. Sur le côté Ouest, une rangée de colonnes surmontées d'arcs supporte la tribune (dikka) de l'officiant.

Les parois des murailles à l'intérieur et à l'extérieur, ainsi que les 4 piliers qui supportent la grande coupole et les colonnes, sont revêtues, sur une hauteur de 11 m., d'albâtre provenant des carrières de Beni-Souef.

Au-dessus du soubassement d'albâtre, les murailles, à l'intérieur, sont revêtues d'enduit rehaussé çà et là de beaux

(legs), au profit de la mosquée, des terrains agricoles situés en Haute et en Basse-Egypte, dont les revenus seraient utilisés pour l'entretien du monument et pour des oeuvres pies.

Fêtes rituelles célébrées dans la mosquée.

Cinq fêtes rituelles sont toujours célébrées dans cette mosquée: la nuit du Mi'râg, la mi-Sha'bân, la nuit d'El-Kadr, et les deux nuits des 13 et 14 Ramadân (le 13 date du décès de Muhammad 'Ali à Alexandrie, et le 14 date de son inhumation au Caire.).

Travaux du Khédive Isma'îl.

En Radjab 1279 H. (1822 J. C.) sous le règne du Khédive Isma'îl, le sultan 'Abd al-'Azîz visita l'Egypte et habita pendant 7 jours le palais de Muhammad 'Ali à la Citadelle, qui fut aménagé à cette occasion. Pour faire ses dévotions du vendredi, il se rendit à pied à la mosquée, accompagné du Khédive et des hauts fonctionnaires, et occupa le pavillon qui lui avait été réservé près du mihrâb.

En 1280 H. (1863 J.C) le Khédive Isma'îl fit exécuter une housse pour le sarcophage en marbre, et fit confectionner de nouvelles portes pour la mosquée, en bois de noyer, pourvues de heurtoirs en cuivre. Il créa aussi une cour des ablutions à proximité de la mosquée et entoura celle-ci, sur tout son périmètre, d'une enceinte en pierre surmontée d'une grille. Enfin, il dota la mosquée de deux exemplaires du Coran enluminés.

Travaux du Khédive Tawfîk.

Le khédive Tawfîk, qui monta au pouvoir en 1296 H. (1879 J. C), fit réparer les revêtements de marbre du sahn,

en verre; sous la grande coupole fut suspendu un lustre en cristal composé de 79 branches; un autre lustre devant le mihrâb comprenait 53 branches; un troisième lustre devant la porte donnant sur le sahn, était formé de 59 branches, et un quatrième devant la porte nord comprenait 24 branches.

Le Pavillon funéraire et le sarcophage.

De même ʻAbbâs I fit venir de Constantinople un sarcophage en marbre blanc revêtu d'inscriptions coraniques dorées et rehaussé de rideaux de velours à broderies dorées. Il fit exécuter, en outre, un pavillon en cuivre jaune; à l'intérieur furent installés sept grands et deux petits chandeliers en argent et il la dota de plusieurs exemplaires du Coran et des Invocations (Dalâ'il al-Khayrât); devant l'entrée du pavillon fut suspendu un lustre en cristal à 24 branches.

Enfin ʻAbbâs I appointa un personnel et constitua une wakfiyya (legs) dont les revenus devaient être utilisés à rétribuer les employés, à l'entretien du monument, aux frais d'éclairage et d'encens, et à la distribution des aumônes durant les fêtes rituelles. Cette wakfiyya prescrivait, entre autres, la nomination de deux imâms, l'un pour le rite hanafite et l'autre pour le rite Shâfiʻite, d'un prédicateur et d'un shaykh pour l'enseignement des Traditions, et enfin l'affectation d'une somme spéciale à répartir entre les tombeaux et ex-votos les plus célèbres en Egypte.

Travaux de Muhammad Saʻîd.

Après son accession en 1270 H. (1854 J. C.), Muhammad Saʻîd fit peindre le pavillon funéraire et constitua en wakf

La main-d'oeuvre.

On serait porté à supposer que les artisans employés dans la construction et la décoration de ce monument étaient égyptiens. Mais, si l'on considère le style de l'édifice et les décors qui le rehaussent, on doit admettre que la main-d'oeuvre était d'origine turque ou arménienne, envoyée de Constantinople spécialement pour être utilisée dans les constructions de Muhammad 'Ali, la main-d'oeuvre locale n'ayant pas l'expérience nécessaire pour ce genre de travaux. Ce qui nous confirme d'ailleurs dans cette opinion, c'est l'arrivée en Egypte, vers la fin de 1227 H. (1812 J. C.), de 500 artisans, tels que maçons, menuisiers, tourneurs, en même temps qu'un détachement de soldats turcs. Cependant, ce fait n'exclut pas l'utilisation propable d'artisans égyptiens dans les travaux en marbre et en pierre, qui sont les principaux matériaux employés dans la mosquée, et dont la provenance est essentiellement locale.

Travaux de 'Abbâs I.

Lorsque 'Abbâs I accéda au pouvoir en 1265 H. (1848 J. C.), il donna l'ordre de compléter les travaux inachevés, à savoir :

1° Pose du dallage en marbre.

2° Décorations des piliers après application de l'enduit et de la peinture imitant le marbre.

3° Décoration de toute la mosquée en couleurs et or et pose des inscriptions de la coupole.

'Abbâs I ordonna ensuite de recouvrir le sol de nattes et de tapis; des chaînes en cuivre furent suspendues pour y accrocher les appareils d'éclairage qui comprenaient 418 lampes

2°— La mosquée-école (madrasa) qui comprend quatre portiques (iwâns) à ouvertures arquées, autour d'un sahn généralement à ciel ouvert.

Sous la période ottomane, un nouveau plan fut introduit en Egypte par les architectes ottomans qui accompagnaient les gouverneurs délégués dans ce pays par les Sultans de Turquie. Ce plan, foncièrement ottoman, est celui d'après lequel fut établie la mosquée qui nous intéresse. Sa première application eut lieu dans la mosquée de Sulaymân Pasha (Sâriyat adj-Djabal) à la Citadelle (935 H. = 1528 J. C.), puis successivement dans la mosquée de Sinân Pasha à Bûlâk (979 H. = 1571 J. C.), la mosquée d'Al-Malika Safiyya (1019 H. = 1610 J. C.), la mosquée de Muhammad Bey Abu-dh-Dhahab (1187 H. = 1773 J. C.) et, enfin, dans la mosquée de de Muhammad 'Ali (1246 H. = 1830 J. C.).

Etat de la mosquée au moment du décès du Grand Muhammad 'Ali.

Les travaux furent poursuivis dans ce monument sans interruption; de sorte qu'au moment du décès de son fondateur, en 1265 H. (1848 J. C.), les murailles étaient achevées entièrement, de même que les deux minarets, les coupoles, les inscriptions qui surmontaient les fenêtres à l'intérieur et à l'extérieur, et enfin les revêtements de marbre du soubassement des façades jusqu'à la porte Sud. Muhammad 'Ali fut inhumé dans le tombeau qu'il s'était fait creuser dans le roc.

L'Architecte de la mosquée.

L'architecte qui venait de Constantinople se nommait Joseph Bushna, et s'était inspiré du plan de la mosquée du Sultan Ahmad.

Emplacement de la mosquée.

Suivant les descriptions qui nous sont parvenues de la Citadelle au VII^e s. H. (XIV^e s. J. C.), il apparaît que la mosquée fut élevée sur une partie de l'emplacement du palais "Al-Ablak", fondé par An-Nâsir Muhammad ibn Kalâwun en 714 H. (1314 J. C.) et dont des vestiges subsistent encore sous le sahn de la mosquée.

Adj-Djabarti, l'historien de l'époque de Muhammad 'Ali, rapporte dans les événements de l'année 1227 H. (1812 J. C.), que la mosquée et le kiosque (palais du Bijou) furent élevés sur une parcelle de terrain qui était occupée par le Palais de la Citadelle, et qui comprenait les bureaux de l'Administration, le mak'ad de Ḳâytbây situé dans la cour, face à l'entrée, et le pavillon d'Al-Ghûri qui englobait les bureaux du personnel administratif.

Date de fondation de la mosquée.

Les fondations furent établies dans le roc en 1246 H. (1830 J. C.), et de gros blocs de pierre furent utilisés, que l'on relia par des crampons en fer dont on fixa les extrémités avec du plomb coulé.

Plan de la mosquée.

Le plan des mosquées en Egypte peut se ramener à deux types :

1o— La mosquée cathédrale, formée d'une cour (sahn) centrale à ciel ouvert, entourée de quatre iwâns (portiques), dont les arcades sont supportées par des colonnes.

Mosquée du Grand Muhammad 'Ali
à la Citadelle

Avant - Propos

Le Sultan Al-Malik an-Nâsir Salâh ad-Dîn Yûsuf ibn Ayyûb entreprit la construction de la Citadelle (Kal'at adj-Djabal) en 572 H. (1176 J. C.). Mais elle fut achevée sous le règne d'Al-Malik Al-Kâmil ibn Al-'Adil en 614 H. (1207-8 J. C.), qui en fit sa résidence royale et celle des émirs et membres de sa suite.

La Citadelle continua à servir de résidence aux sultans de la dynastie ayyubide, aux mamelouks bahrites et circassiens, aux gouverneurs ottomans et, enfin, à la dynastie du Grand Muhammad 'Ali, jusqu'au règne du Khédive Isma'îl qui fit du Palais d'Abdine sa résidence royale.

Muhammad 'Ali s'intéressa particulièrement à la Citadelle : il fit réparer ses murailles et éleva à l'intérieur, les bâtiments du harem, le kiosque connu sous le nom de Palais du Bijou (Adj-Djawhara), les bâtiments de la conscription et de l'enseignement, l'hôtel de la monnaie, les bâtiments de l'industrie et de l'imprimerie, les fabriques d'armes, des pièces d'artillerie, d'équipements de cavalarie et d'infanterie. Il fit aussi élever, à proximité de la Citadelle, le Pavillon des Archives.

Après l'achèvement des constructions précitées, Muhammad 'Ali entreprit l'édification d'une mosquée où il pourrait, avec les membres de sa suite, accomplir ses dévotions, et dans laquelle il éléverait un mausolée qui abriterait sa dépouille funéraire.

MINISTÈRE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE

Administration pour la Conservation des Monuments Arabes

HISTOIRE ET DESCRIPTION

DE LA MOSQUÉE DU GRAND MUHAMMAD 'ALI

A LA CITADELLE,

A L'OCCASION DE L'ACHÈVEMENT DE SA RÉPARATION

sous le règne de

S. M. FARUK I, Roi d'Egypte,

Que Dieu Le Protège

---

par

MAHMUD AHMAD

Directeur de la Conservation des Monuments Arabes

LE CAIRE

IMP. DE LA BIBLIOTHÈQUE EGYPTIENNE

1939

HISTOIRE ET DESCRIPTION

DE LA MOSQUÉE DU GRAND MUHAMMAD 'ALI

A LA CITADELLE,

A L'OCCASION DE L'ACHÈVEMENT DE SA RÉPARATION

sous le règne de

S. M. FARUK I, Roi d'Egypte,

Que Dieu Le Protège
